مخاطر الغش فى تزييف الحاضر
وتدمير المستقبل ! (*)

أخطـــر مـــا يصيب الأفـــراد والمجتمعـــات، أن تقام حياتهم على " الغش ". شيوع الغش معناه أن يعيش الفرد وأن تعـــيش الجماعـــة حيـــاة مصطنعة ملفقة مغشوشة لا تطابق الواقع، وأن يكون وراء ستار المـــسرح واقع آخر يختلف كل الاختلاف عن مشهد المنصة الملفق القـــائم علـــى " الغش " و " الكذب " و " الخداع " و "الاختيان " !

شيء مذهـــل ما أصاب المؤسســـة التعليمية فـــى بـــر مـــصر ! لاحقتنا الصحف منذ يونيو الماضى بحوادث غش مأساوية، فتنشر الأهرام ٦/١٥ : " اكتشاف ٨ لجان مخصصة لأبناء المسئولين فى امتحان الثانوية بمستشفى مغاغة. " حيث تبين أن كل الطلاب الذين يؤدون الامتحان فـــى هذه اللجنة " الخصوصى " – من أبناء المسئولين بوزارات الداخلية والعدل والصحة. وكتبت الأهرام فى ٦/١٩ : " الثانوية العامة " لا تزال تفجـــر

---

* الأهرام ٢٠٠٨/٩/١٨

نهرا من الدموع ! المتهمون باعوا الامتحانات بـ ٣٠٠ جنيه لكل ورقة لأبناء أصحاب النفوذ، ثم تورد الأهرام لاحقاً وقائع ضبط الغش بالتليفون المحمول فى لجنة أبو كبير بالشرقية، ووسط أنباء التحقيقات وتقاطر أخبار الغش الجماعى الذى تفشى، حملت صحف ٢٩/٦ نبأ ضبط محام يؤدى الامتحان بكلية الحقوق جامعة بيروت بدلا من الطالب.. وانتحال الصفة فى الامتحانات، ظاهرة دخيلة أكثر شرا وأشد خطرا، فهى تجاوز الغش إلى جناية التزوير فى المحررات الرسمية، ثم هى تشجيع على شيوع العشر والرذيلة، باستئجار وإرشاء من يؤدون الامتحانات بدلا من الطلبة، بينما حملت الصحف أنباء إحالة العديدين من أبطال الغش بمحافظة المنيا إلى محكمة الجنايات التى أصدرت أخيرا أحكاما رادعة بلغت السجن المشدد ١٥ عاما، ولم يتوقف نزيف أخبار الغش الجماعى والفردى وتواصلت مع ما يجرى فى المناطق النائية التى لها سوابق فى إيواء اللجان الملاكى لامتحان أبناء الكبار والأثرياء بعيدا عن العيون !

ومن الظواهر المؤسفة، تجاوز حالات الغش الفردى، إلى آفة أشد تصيب لجانا بكاملها، فتخرج عن حدود الفردية إلى الغش الجماعى الذى يتحول فيه التلاميذ الممتحنون إلى غشاشين فى العلن، ويتحول المراقبون إلى حامين متسترين فى تبجح على مشهد الغش والغشاشين الذين يتعدون على حق الدولة والمجتمع وحق زملائهم - ويعيشون فى الحياة فسادا يصور الباطل حقا، والبلادة كفاءة، والغش نجاحاً وامتيازاً.

داء الغش الذى استشرى أيضا فى البيوع والتوريدات، وفى المواصفات والأبنية التى لا تكاد تقام حتى تنهار، يصيب المجتمع كله فى

الصميم، ويهدم أركان حياته، ويقيم ستارا كثيفا من الغش والخداع يخفى وراءه الفساد والاصطناع وتلف العقول والذمم والمقاصد !

الأخطر أنه بدا فى مشاهد الغش المأساوية المتتابعة، أن الداء لم يصب الطلاب فقط، أو يتغشى فقط بعض المعلمين الذين استباحوا تسريب وبيع الأسئلة، وإنما بدا فى المشهد أن الآباء وأولياء الأمور طرف أساسى ضالع فى هذه المصيبة، وأن بعض أركان المسئولية التنفيذية والنقابية - ضاربون جميعا بالدفوف، يرقصون على جثمان التعليم، يستبيحون المؤسسة التعليمية برمتها لتحقيق نجاح ضرير لأولادهم لن ينفعهم فى حياتهم شيئا لأنهم سيتخرجون جهلة غشاشين، لا العلم تعلموه وحَصلوه، ولا القيم والأخلاق أدركوها، بل كبروا بعون ومدد وتشجيع آبائهم على الضرب فيها !

أخطر من جنوح الطلاب، تواطؤ الآباء وتشجيعهم أبناءهم على هذا الجنوح الضرير.. يشترون لهم الامتحانات، أو يوفرون أسباب شراء ذمم المراقبين والبدلاء وبياعى الأسئلة، أو يرتبون الامتحان بالمناطق النائية بعيدا عن الرقباء، أو يعينون بالمال والنفوذ على ترتيب لجان الغش الجماعية !

أكبر الكوارث أن هؤلاء الآباء وأصحاب النفوذ، قد فارقوا قيم التعليم ومعنى التربية !.. سحبوا منطق الفهلوة والغش والمكر والخديعة إلى ما يظنون أنه تأهيل وإعداد لأبنائهم.. لا يعون أنه إعداد أسود لمستقبل أشد سوادا كله جهالة وظلام وإظلام وخيبة وفشل وإخفاق !

ظنوا أن الشهادة هى التربية وهى التعليم وهى التأهيل وهى القاعدة والأساس.. حل فى نظرهم الضرير الشكل الفارغ الضحل، محل المضمون

الثرى الذى ينير فعلا لا شكلا جنبات العقل وصفحة الوجدان وملكة الفهم وينمى القدرة الفعلية على العطاء والنجاح.. ظنوا أن " النهب" هو السلاح الأبدى المحصن النافذ بلا عوائق !.. ألم يفلح فيما غنموه من مناصب ونفوذ، وفيما يفرضونه من هيلمان يخضع أو يشترى كل شىء حتى الذمم ؟! فلماذا لا يفلح مع بنيهم ؟! لا يتوقفون ليسألوا أنفسهم ماذا سوف يجدى بنيهم بعد رحيلهم أو ذهاب سلطانهم ؟! هل ستنفعهم الشهادة المضروبة المحصول عليها بالغش والخديعة ؟! إن الآلاف من حملة الشهادات لا يجدون فرصة عمل فى سوق منافسة لا تنفتح فى النهاية إلا لأصحاب الكفاءة، لا المظاهر والأحساب ؟!

نرى فى القرآن الحكيم أن الله تعالى بعث بالأنبياء ليعلموا الناس الكتاب والحكمة، بينما يسعى الغشاشون طلاباً وآباءً إلى الجهل والجهالة والغش والخداع !.. نسمع من حديث رسول القرآن عليه السلام : " ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن ".. فلا نجد شيئاً من هذه التربية والأدب الحسن الذى يزرع قيم الصدق والاستقامة، وينهى عن الالتواء والغش والخداع والمكر والتزييف والاعتداء على حقوق الغير بغير حق !

الغش فى التعليم، أشر من تطفيف الموازين أو الغش فى البيوع، بل هو أشر من كل أنواع الكذب والخداع، لأنه يجاوز الضرر الشخصى بالمدلس عليه إلى الضرر الذى يصيب المجتمع كله فى قيمه وفى واقعه وفى بنيانه وفى حاضره وفى مستقبله !

الغش العادى وقتى ينتهى بواقعته والمجنى عليه فيها، بينما الغش فى الامتحان والتعليم ذو أثر مستمر وممدود يجاوز أثره الحاضر إلى

المستقبل.. يدفع إلى مقدمة الصفوف - بغير حق - ببلداء غشاشين كذابين مخادعين، ويؤخر عنهم المجتهدين الأكفاء الصادقين الأسوياء !

حاصل ذلك اختلال بوصلة التعليم، وفقدان دورها في فرز الكفاءات وبناء الأجيال، وهذه كارثة تضرب جوهر التعليم والعدالة وتكافؤ الفرص في الصميم، وتصادر حاضر ومستقبل الوطن !

تتفق الأخلاق مع كافة الأديان في شجب كل صور الغش والتنفير منه، يجمعها حديث رسول القرآن عليه السلام : " من غشنا فليس منا " !.. من يتأمل هذا الحديث يلحظ عمومية العبارة التي جاوزت المناسبة إلى قاعدة عامة تدين كل أنواع الغش بغير تقييد أو تخصيص، وتخرج الغشاش من الجماعة !

تتفق على هذه الإدانة كل الأديان، شاملة الغش والكذب والزور، فيتعدد في القرآن المجيد أنه لا يوجد أظلم مما يفترى كذبا، ويشهد الله تعالى بكذب المنافقين (المنافقون١)، وبأن الكذب والخداع يحيق بأهله : " وإن يك كاذبا فعليه كذبه " (غافر ٢٨).. تتوعده الآيات الحكيمة بعذاب يخزيه(هود ٩٣)، وتقول : " إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار" (الزمر٣).. لماذا ؟ لأن الكاذب يقاوم الهداية ولا يفتح لها قلبه وإنما يناهضها بكل السبل !.. لذلك نرى في القرآن الحكيم أنه لا يفترى الكذب إلا الذين لا يؤمنون بآيات الله، فأولئك هم الكاذبون (النحل ١٠٥).. وتنهى الوصايا العشر في العهدين القديم والجديد عن شهادة الزور، وهي مزيج من الكذب والغش، وفي سفر الأمثال بالعهد القديم : " والشاهد الكاذب يظهر غشا " (١٢: ١٧) ! وتصف مزامير داود الغشاش بأن " فمه مملوء لعنة وغشا وظلما " (١٠:٧)، ويورد سفر الأمثال أن "غباوة الجهال غش"(١٤: ٨)..

فى الدول المتحضرة يحـــرم المتهربـــون من الضرائب والتجنيـــد من المناصب العامة، وفى الحديث النبوى الذى مررنا به شىء من ذلـــك، فهـــو يخرج الغشاشين من الجماعة، ويلفت إلى ما فى الغـــش مـــن أثـــر ممدود، ينحر بالسلب فى قيم وبناء المجتمع، ويقضى على بوصـــلته فـــى سواء حياته وفى تصنيف أفراده وكفاءاته ويعوق غايته فى إقامـــة صـــرح حياته على الواقع الصحيح الذى لا غش ولا خديعة فيه ! شـــيوع الغـــش تزييف للحاضر، ومصادرة وتدمير للمستقبل !